حركة عثمان بن فوديو الإصلاحية في غرب إفريقيا

أ.غانم بودن
جامعة تيارت

ملخص:

يعتبر الدين الإسلامي أهم رافد للحضارة الإنسانية ساهم في تطور المجتمعات المعتنقة له في جميع المجالات على اختلاف أعراقها وتوزيعها الجغرافي، وكان سببا رئيسا في نهضتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والحضارة، وكانت قارة إفريقيا رغم اتساعها وصعوبة مناخها موطنا لعدة دول وممالك إسلامية ساهمت في نشر الإسلام في أعماق القارة، كما ساهمت في الحضارة الإسلامية بإنتاجها الفكري في الدراسات الفقهية، وكان المسلم الإفريقي على غرار باقي المسلمين فعالا، مواكبا لكل التطورات في مجتمعه، ولم يكن بمعزل عن محيطه الإسلامي العام. فمثلما عرف المشرق العربي حركات إصلاحية مجددة معتمدة على تعاليم الإسلام الصحيحة، عرفت منطقة غرب إفريقيا (نيجيريا حاليا) حركة مماثلة اعتمدت على إحياء الدين الإسلامي الصحيح، وإصلاح أحوال المجتمع، وتطهيره من البدع والخرافات والوثنية، وقد قاد هذه الحركة الشيخ عثمان بن فوديو الذي قضى سنين في الدعوة والتعليم، ثم أعلن الجهاد ضد الإمارات الوثنية، ونجح في تأسيس دولة إسلامية بغرب إفريقيا هي دولة سوكوتو بشمال نيجيريا لاتزال آثارها إلى غاية اليوم.

مقدمة

عرفت منطقة غرب إفريقيا تطورا حضاريا واقتصاديا وسياسيا منذ دخول الإسلام خلال القرن الحادي عشر الميلادي، حيث تأسست عدة ممالك إسلامية تداولت على حكم المنطقة وقامت بنشر الإسلام، وفي القرن الثامن عشر سادت النزاعات بين شعوب المنطقة و تعرض الإسلام لتشويه كبير بدخول البدع والخرافات، وسيطرة الحكام الوثنيين على الأوضاع السياسية مما استوجب ضرورة الإصلاح وإعادة هيبة الإسلام ومكانته في المنطقة، ولم تخلُ منطقة غرب إفريقيا من علماء مصلحين يجددون نهضة الإسلام على غرار مصلحي المشرق العربي، ويؤسسون لحكم إسلامي لا تزال آثاره لغاية اليوم، ومنهم الشيخ عثمان بن فوديو الذي رفع لواء الإصلاح الديني والجهاد في شمال نيجيريا، وأسس دولة إسلامية على نمط الخلافة، فعُدّ رائدا للإصلاح الديني بالمنطقة الذي يندرج في إطار حركة الإصلاح في العالم الإسلامي.

1- أوضاع إمارات الهوسا قبل قيام حركة الشيخ عثمان:

تقع بلاد الهوسا[1] في نيجيريا الشمالية ولها سبع إمارات: دورا(Daura)، كانو(Kano)، زازاو (Zazaw) أو زاريا، جوبير(Gobir)، كاتسينا(Katsina)، بيرام (Biram)، رانو (Rano)،[2] ولكل إمارة ملك يتخذ مدينة فيها تكون عاصمة لملكه[3]، وقد انتشر الإسلام في منطقة غرب إفريقيا عن طريق الساحل الغربي من خلال حركة المرابطين نحو الجنوب والغرب، وعبر الطرق التجارية بين شمال إفريقيا وغربها ومراكزها التي استقر فيها رجال الدين مثل غانة[4]، جنى[5]، مالي وغاو[6] وجعلوها منطلقا للدعوة إلى الإسلام، وقد ساهمت دولة مالي بنصيب كبير في نشر الإسلام بعد أن أصبح الدين الرسمي لها، وهي من أوصله إلى بلاد الهوسا منذ حوالي القرن الثالث عشر الميلادي،[7] ولكنه لم ينتشر إلا في القرن الخامس عشر، وكان الإسلام في البداية هو دين الصفوة والأدباء وظلت الوثنية هي السائدة ثم اختلطت العقيدة الإسلامية بالوثنية، وظل الأمر كذلك حتى ظهور عثمان دان فوديو،[8] وكان من نتائج العقيدة الإسلامية أن أصبح للملوك والتجار في ممالك الهوسا تقاليد خاصة بهم، وأدى ذلك إلى تقدم مملكة الهوسا في التجارة العالمية التي أدت إلى تطوير زراعتهم وصناعتهم المتمثلة في نسيج الصوف والصناعات المعدنية.[9]

وبعد سقوط دولة سنغاي 1591[10]كانت إمارات الهوسا أكبر مستفيد من ذلك، فكاتسينا عوضت غاو[11] وطمبوكتو[12] كخط أخير للتجارة السودانية عبر الصحراء، وشكل التطور الاقتصادي لدول الهوسا في نيجيريا الشمالية الحدث التاريخي البارز في منطقة الساحل السوداني خلال القرن السابع عشر والثامن عشر،[13] ولكن من الناحية السياسية كثر العنف وبدأت الغارات، وانقسمت الدولة إلى عدد من القبائل المتنافرة، و لم تعد هناك دولة تجمع شعوب المنطقة تحت سلطة واحدة، وعاد السكان إلى الديانات المحلية الوثنية و لم يعرف السودان الغربي سوى السلب والسطو والحرب المستمرة.[14]

وكانت جوبير أو غوبير الدولة الشمالية في إمارات الهوسا بدأت في التوسع، ووصلت حدودها شمالا حتى الصحراء الكبرى وكانت متقدمة بعض الشيء،[15] وأصبحت مع نهاية القرن الثامن عشر أقوى إمارات الهوسا تضم أجناس مختلفة من التوارق والفولانيين (Peuls)[16]، والفولانيون كانوا إما قساوسة ووثنيين أو حضريين ومسلمين،[17] بدأ نجمهم يلمع خلال القرن الثامن عشر في شتى أقاليم الهوسا وكانوا يكونون ما يمكن أن يسمى دولة داخل دولة لهم كثير من الاستقلال،[18] ومن الفولاني سيخرج رائد الحركة الإصلاحية في غرب إفريقيا الشيخ عثمان من فوديو.

2- الشيخ عثمان بن فوديو،المولد والنشأة:

* مولده: هو عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن جبّ بن محمد بن تُنب بن أيوب بن ماسران بن بوب باب بن جكّل الملقب بابن فودي،[19] نسبة إلى الاسم الذي اشتهر به والده فوديو أو فودي (Fodio) التي تعني بالفولانية "المتعلم" أو الفقيه،[20] ولد في بلدة ماراتا (Maratta)[21] في إمارة غوبير (ولاية سوكوتو بنيجيريا حاليا) يوم الأحد 15 نوفمبر 1754م الموافق لآخر صفر سنة 1168 هـــ،[22] ينحدر من عائلة مثقفة توارثت العلم و الثقافة خلفا عن سلف منذ القرن الخامس عشر تاريخ هجرتها مع القبيلة الفولانية إلى بلاد الهوسا من فوتا تورو(Fouta toro) الواقعة على نهر السنغال بزعامة الشيخ موسى جكّل الجد الأكبر لعثمان بن فودي[23].

* تعليمه: لعبت أسرته دورا كبيرا في تعليمه فقد نشأ وترعرع في أسرة فولانية ذات طابع ديني وبيئة صوفية،[24] حيث تتلمذ على يد والدته حواء وجدته رقية، وحفظ القرآن على يد والده مما يدل على المستوى العالي الذي كانت عليه عائلته،[25] ودرس مختصر خليل على عمه عثمان بن الأمين،[26] وتجول في عدة مناطق في إفريقيا لتوسيع أفقه العلمي حيث درس دراساته العليا عند شيخه الحاج جبريل بن عمر (جبريل دان) في مدينة أغدس (Agadès)[27] بالنيجر، والذي كان يعتبر من أكبر علماء السودان الأوسط في ذلك الوقت فأخذ عليه وصاحبه لمدة تزيد عن السنتين[28]، فتعلم على يديه كتب الشيخ أحمد بن إدريس المتوفى سنة 1285م، ومؤلفات محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة 1490م في التوحيد، وكتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، وكتب جلال الدين السيوطي و عبد الكريم المغيلي التلمساني،[29] مما جعله يلم بالعلوم الشرعية من فقه وحديث وسيرة سهلت له نشاطه الدعوي وجلبت له التأييد.

وبحكم أن منطقة السودان الغربي تنتشر فيها الطرق الصوفية بكثرة فقد اعتنق الشيخ عثمان إحداها وهي الطريقة القادرية[30] التي انتشرت في القرن الخامس عشر ميلادي بواسطة مهاجري توات، وكان أشهر دعاتها محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني[31] في الجزء الأوسط من الصحراء وبلاد الهوسا، وفيما بعد تسلم لواء القادرية عثمان بن فودي،[32] وسلك نهج أهل الطرق الصوفية في تربية النفوس بالأذكار والأوراد، وأنشأ طريقة منسوبة إليه باسم الطريقة الفودوية وهي فرع من القادرية[33] التي ألف فيها الكثير من الأشعار والرسائل.

* مؤلفاته: إن ما يميز شخصية عثمان بن فودي عن غيره هو أنه جمع بين السياسة والعلم، فبقدر ما كان مؤسسا لدولة قوية في غرب إفريقيا، كان عالما صاحب رسالة ثقافية وحضارية قام بها على أحسن وجه في وسط سادته الوثنية والصراعات السياسية والقبلية، وتجلى ذلك من خلال ما خلفه من تراث فكري وديني عكس تكوينه الديني العميق ورؤيته السياسية وفكره الإصلاحي للنهوض بشعب الفولاني ومنطقة غرب إفريقيا.

فقد كان من كبار المفكرين المسلمين في غرب إفريقيا وله مؤلفات واسعة، تعكس عمق فكره ودراسته، فلم يحفل بالعرش الذي كونه ولا بالمجد السياسي الذي أحرزه، بل ترك هذا لابنه وأخيه وعكف على البحث والدراسة،[34] فكانت مؤلفاته مرشدا للناس ومصدرا للفتوى والتشريع، وهي تعكس ثقافته وعلمه الشرعي واطلاعه على الأحاديث النبوية الشريفة والمذاهب الأربعة وآراء العلماء المشهورين في غرب إفريقيا كالمغيلي والشيخ مختار الكنتي وأستاذه الحاج جبريل بن عمر.[35]

وقد نصت مؤلفاته على الإصلاح وتطبيق الأحكام الإسلامية وتصحيح الإيمان وإقامة الشريعة ومحاربة البدعة ومنها:[36]

- إحياء السنة وإخماد البدعة في ثلاثة وثلاثين بابا دارت حول العقيدة وأصول الدين.
- حصن الإفهام من جيوش الأوهام.
- نجم الإخوان يهتدون بإذن الله في أمور الزمان.
- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان.
- إقحام المنكرين في الزجر عن البدع والأهواء.
- نصيحة أهل الزمان.
- أصول الدين.
- ضياء السياسات وفتاوى النوازل في فروع الدين من المسائل (وضح فيه أسس المجتمع الإسلامي).
- تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان (تناول فيه بلاد الهوسا وأسباب الصراع بين زعمائها).
- السلاسل القادرية للأمة المحمدية.

كما كتب عدة مقالات منها "تطبيب قلوب الأمة المحمدية بذكر بعض القصائد القادرية"، "مسائل المعاملة"، "نور الألباب"، "إرشاد الإخوان إلى أحكام ورود النسوان"، حيث حث على لزوم تعليم المرأة و تثقيفها مما يجعله رجلا مجتهدا ومجددا، كما أكد على وجوب المعاملة الحسنة للعبيد، وكان أول من ترجم القرآن الكريم للغة الفولان كي يسهل على عامة الناس فهمه.[37]

* وفاته:

توفي الشيخ عثمان سنة 1817م بمدينة سوكوتو، ودفن بها ومايزال قبره مزارا للمعجبين به، المحبين لدعوته الإصلاحية.[38]

3- دعوة الشيخ عثمان الإصلاحية:

أ- ظروف قيام الدعوة:

عرفت إمارات الهوسا فترة صراع وتوتر فيما بينها في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي أثرت على الاستقرار السياسي وانعدام أمن الطرق التجارية، حيث تعرضت كانو لغزو من زمفارة[39] وغوبير فتدهورت أوضاعها الاقتصادية والسياسية وتفشت فيها المجاعة ونضبت ينابيع الثروة وغادرها عدد كبير من السكان،[40]وأدى هذا التنافس إلى استتراف الموارد

وتفكك الدول وتضييع الطاقات البشرية،[41] كما ابتعد الناس عن الدين الإسلامي الصحيح الذي على الرغم من انتشاره في غرب إفريقيا إلا أنه ظل يعاني من منافسة الوثنيين، ودخلته الكثير من البدع وظل الحكام الوثنيون هم أصحاب السيطرة والسيادة في قطاعات كثيرة،[42] مما أدى لاختلاط العقيدة الإسلامية بالطقوس الوثنية.[43]

كما كانت حالة الفساد والفوضى دافعا لظهور صحوة إسلامية في غرب إفريقيا تحملتها امبراطورية الفولاني[44] التي كانت الجماعة الوحيدة التي ظلت متمسكة بالقيم الإسلامية، ومارس رجالها أعباء نشر الدعوة.[45] ولعبت الطرق الصوفية القادرية والتيجانية والسنوسية دورا بارزا في انتشار الصحوة الإسلامية، بالإضافة إلى انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي.[46]

ولا يمكن إغفال العامل الخارجي المتمثل في حركة الإصلاح التي عرفها المشرق العربي ودورها في التأثير في باقي مناطق العالم الإسلامي، حيث لم يكن غريبا أن يشهد غرب إفريقيا أصداء هذه الحركة الإصلاحية التي قادها رجال الدين الإسلامي بعد أن نهلوا من ثقافة المشرق، وبعد ما شاهدوا البدع التي أحاطت بالدين، وصارت جزءا من ممارسات الناس العادية، فكان لا بد من ثورة إصلاحية تحاول تطبيق الشريعة الإسلامية وتسعى للعودة إلى نقاء العقيدة الصحيحة،[47] وتؤسس مجتمعا إسلاميا في إفريقيا جنوب الصحراء مثل المجتمع في شبه الجزيرة العربية (الوهابية)، أو في شمال إفريقيا (السنوسية)،[48] فالشيخ عثمان بن فودي أدى فريضة الحج وتأثر بأتباع الدعوة الوهابية ومبادئهم في محاربة البدع والخرافات، فعاد لبلاده وهو مصمم على نشر الإسلام والتخلص من البدع التي انتشرت في المنطقة.[49]

ب- بداية النشاط الدعوي:

إن التكوين الديني للشيخ عثمان جعله يقتنع بضرورة اعتماد منهج إصلاحي قاعدي للمجتمع معتمدا على تعليم المبادئ الإسلامية الصحيحة، حيث بدأ في العشرين من عمره بعقد حلقات التعليم لإحياء السنة وإماتة البدعة ونشر العلوم وتفسير القرآن، وجمع حوله صفوة المثقفين المسلمين،[50] محاولا خلق مجتمع مثالي في أوساط الهوسا على شكل المجتمع الإسلامي الأول، ويعتبر في وضعه السياسي مماثلا لمجتمع الأسقيا محمد[51] الذي كان قبل ثلاثة قرون هذّب وأصلح أحوال المسلمين في سنغاي.[52]

في سنة 1775 بدأ الشيخ عثمان يخبر الناس أن إسلام ملوك الهوسا لم يكن الإسلام الحقيقي، وأنه في حاجة ماسة إلى الإصلاح حتى يمكن إدخال ممالك الهوسا في نهج الخط الإسلامي الصحيح[53] باعتماد منهج دعوي إصلاحي قام على[54]:

-دعوة الناس إلى ما فرضته الشريعة من أصول وفروع.

- إتباع السنة و ترك البدعة.

- رد الأوهام الخاطئة في أذهان الطلبة مما تلقوه من علم الكلام وتكفيرهم للناس بدون مبرر.

- إخماد البدع الشيطانية المخالفة للشرع.

- تعليم علوم الشريعة وتبسيط مشكلاتها.

- استخدام أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

- تفسير العلوم بلغة الحاضرين لتسهيل الفهم.

وركّز في دعوته على عنصرين: أولهما موضوع المرأة في النموذج الإسلامي والفرق بينه وبين المرأة في النموذج الجاهلي المتخلف داعيا المرأة إلى التحرر من الاستعباد، وثانيهما استخدام الشعر والموشحات الدينية بالطريقة الشعبية المحببة إلى القلوب في قصائد ذات مضمون أخلاقي وعلمي وإرشادي باللغات المحلية، حيث كانت تنتقل بسرعة من ألسنة الدعاة إلى

العامة خاصة أن الثقافة الإفريقية هي ثقافة حفظ لا تسجيل،[55] وقد دعا الشيخ إلى تصحيح العقيدة الإسلامية ونبذ البدع والخرافات، واتباع الكتاب والسنة والاهتمام بالتعليم والتفقه في الدين مركّزا على بث التربية الدينية والخلقية، وشرح مبادئ الإسلام الصحيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متخذا من بلدة دجل (Degel) مقرا لدعوته،[56] كما اتخذ أعوانا له من تلاميذه ليساعدوه في دعوته ومنهم أخوه عبد الله[57] الذي لم يفارقه مدة نصف قرن من الزمن.[58]

وقد شكلت هذه الأفكار تحديا كبيرا للأفكار السائدة خاصة تعليم المرأة حيث عارضه الكثير في قضية جمعه في مجالسه الوعظية النساء إلى جانب الرجال، فما كان منه إلا الإصرار على تعليم النساء وكتب في هذا رسالة سماها "تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان"، وعمل على تثقيف زوجاته وبناته الثلاث.[59]

واستمرت مرحلة الدعوة من 1774 إلى 1804م شكلت مرحلة البناء الأخلاقي والفكري والاجتماعي وانتهت بتشكيل المجموعة الأساسية من الأتباع (الطلبة) بهدف نشر الصورة الجلية للإسلام وفضح علماء السوء،[60] وقد تصدى هؤلاء الأتباع المخلصون معه للدعوة البعض بنسخ كتبه ونشرها بين الناس، والبعض بالتنقل في أرجاء السودان الغربي والأوسط لنشر دعوته، فتحولت حركته من فكرة الإصلاح إلى حركة الجهاد التي استهدفت إقامة خلافة إسلامية في بلاد السودان،[61] وتجنب في هذه المرحلة ملاقاة ومعاشرة أصحاب السلطة من الأمراء والوزراء الحكام حتى لا يقفوا في طريق دعوته الإصلاحية، ولا يعرقلوا عمله،[62] والملاحظ أنها فترة دامت ثلاثين سنة تكفي لبناء عقيدة راسخة للتغيير في أوساط المجتمع وضمان النجاح للمشروع الإصلاحي الذي لا يتطلب العجلة مما يعكس عمق فكر الشيخ عثمان في آليات التغيير الاجتماعي.

وفي عام 1786 بدأ في إرسال البعثات، فأرسل بعثة إلى زمفارة وراسل قادة الفولاني شارحا لهم أفكاره[63] ليشدوا أزره باعتبارهم قومه، وحمل لواء التجديد والإصلاح من خلال تغيير المنكر بالقلب واللسان ثم باليد وجمع الجنود لإقامة دولة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله(ص) على نمط الحكومات الإسلامية الأولى في صدر الإسلام.[64]

وكان تعاظم نشاط الشيخ عثمان وازدياد أتباعه قد أقلق مضجع أمير جوبير(باوا) الذي حاول اعتراض طريقه لكنه أحس بخطورة الموقف فترك الشيخ وسبيله،[65] وسعى إلى التقرب منه من أجل إسكاته، ووضع حد لانتشار سمعته وأفكاره، أو الحد منها على الأقل،[66] فاستدعاه سنة 1788م بمناسبة عيد الأضحى محاولا إرضاءه بمنحه (500) مثقال ذهب، فرفض الشيخ عثمان وطلب منه عوضا عنها الأمور الخمسة التالية:[67]

- أن يسمح له بالتجول حرّا في الإمارة لدعوة في سبيل الله.
- ألاّ يعترض سبيل أي شخص يستجيب لدعوته.
- أن يُوقّر كل عالم يلبس العمامة.
- أن يطلق سراح المسجونين لقضايا سياسية.
- ألاّ يفرض ضرائب باهضة على الرعية.

فقبل الأمير شروط الشيخ عثمان مرغما نظرا لتزايد أنصاره،[68] وبعد وفاة حاكم غوبير(باوا) 1794م خلفه حاكم آخر يدعى نفاتا (Nafata) أدرك قوة أتباع الشيخ عثمان وأحس بالخطر على ملكه فأصدر مرسوما للحد من نشاط الشيخ عثمان نص على:[69]

- عدم السماح لأي شخص باعتناق الإسلام إلا من ورثه عن أجداده.
- منع العلماء من الدعوة الإسلامية ما عدا الشيخ عثمان.

– عدم السماح لأي بشخص بلبس العمامة وحمل الخمار.

وأثار هذا المرسوم استياء أنصار الشيخ عثمان، وكان مؤشرا على تغير أسلوب العمل من الدعوة إلى الجهاد، فعارضوه خاصة عبد الله بن فودي الذي أراد مواجهة هذه الإجراءات بالقوة، لكن الشيخ عثمان عارض استخدام القوة لأنه في بداية طريق طويل، ولا يريد الدخول في صراع مع الطبقة الحاكمة حتى لا تتشتت جهوده وينصرف عن هدفه الأسمى نحو إعلاء كلمة الدين ورفع راية الإسلام.[70]

ج– إعلان الجهاد:

لقد تفادى الشيخ عثمان الحكام طيلة نشاطه الدعوي الذي دام ثلاثين سنة لضمان انتشار أفكاره الإصلاحية في أوساط الشعب، وتكوين قاعدة صلبة من المؤمنين بالتغيير والجهاد وقت وجوبه، فقد كان إعلان الزعماء المسلمين الجهاد كفيلا بالتفاف الأتباع حولهم، لأنهم رأوا في دعوة الجهاد واجبا للقتال ضد الوثنيين لإجبارهم على اعتناق الإسلام.[71]

وكان أنصار الشيخ عثمان قد بدأوا في التسلح منذ 1790م لتكوين جيش قوي، وقد شعر ملك جوبير (Nafata) بخطورة الموقف بعد تسلح الشيخ عثمان فعمل على التصدي لأتباعه[72] بمرسومه السابق الذي يعتبره بعض المؤرخين الطلقة الأولى التي أشعلت نار الجهاد،[73] كما دبّر مؤامرة لاغتيال الشيخ عثمان، لكنه توفي قبل أن ينفذها، وخلفه ابنه يونفا (Yunfa) الذي اتبع نفس السياسة واضطهد المسلمين، وصادر أموالهم وهتك أعراضهم وحرماتهم، وقتل عددا من العلماء والفقهاء، وأمر جنوده بحرق المصاحف القرآنية والكتب والألواح، وعندئذ قرر الشيخ عثمان أن ينتقل إلى مرحلة الجهاد.[74]

كانت سنة 1802م هي بداية الجهاد أن الذي أعلنه الشيخ عثمان أمام تصلب مواقف (Yunfa) المعادية لحركته الإصلاحية فأصدر وثيقة أهل السودان في نفس السنة داعيا فيها السودانيين لإعلان الجهاد ضد أمراء غوبير، ومحاربة الطغاة والجبابرة، وسميت وثيقة أهل السودان لأنها رسالة موجهة ليس إلى أهالي غوبير فقط بل إلى كل السودان الغربي، وتضمنت (27) بندا هي خلاصة تعاليم الشيخ في الفترة الأولى من جهاده، وتحديد المبررات لإعلان الجهاد ضد الوثنيين،[75] ومما جاء في الوثيقة مايلي:[76]

"فاعلموا يا إخواني أن الأمر بالمعروف واجب إجماعا، وأن النهي عن المنكر واجب إجماعا، وأن تأمير المؤمنين واجب إجماعا، وأن طاعته وجميع نوابه واجبة إجماعا، وأن الجهاد واجب إجماعا، وأن تأمير الأمراء في البلدان واجب إجماعا، وأن تأمير القضاة واجب إجماعا، وأن تنفيذهم أحكام الشرع واجب إجماعا، وأن حكم البلاد حكم سلطانه إجماعا، إن كان مسلما كان البلد بلدا إسلاميا، وإن كان كافرا كان البلد بلد كفر وجبت الهجرة منه"

فقد كانت هذه الوثيقة بيانا للانتقال من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الجهاد وبناء الدولة الإسلامية، ومنهاجا جديدا للعمل الذي يلتزم به الشيخ عثمان وأتباعه، حيث تحولت الحركة من حركة إصلاحية واجتماعية إلى حركة ثورية تهدف إلى إقامة الخلافة في بلاد السودان من خلال دعوة حكام الهوسا إلى الإسلام وترك العادات السيئة، وأصبحت الجماعة دولة صغيرة داخل نطاق الدولة الكبيرة، أي إقامة دولة إسلامية على أنقاض دولة الكفر عن طريق الثورة،[77] فشكلت ثورة الفولاني على إمارة غوبير الحدث الأبرز لتلك الفترة، فقد تم النداء لحرب مقدسة لأجل إسلام مجدّد.[78]

كاتب الشيخ عثمان بعد إصدار وثيقة أهل السودان جميع الأمراء في بلاد الهوسا (نيجيريا الشمالية) حاليا طالبا منهم الدخول تحت طاعته على أساس الإسلام، فرفضوا دعوته هذه ما عدا أمير (زاريا)،[79] قصد تكوين تكتل إسلامي لمواجهة الوثنيين.

و كانت بداية الجهاد بهجرة الشيخ عثمان من بلدة دجل (Degel) تحت ضغط أمير غوبير (Yunfa) إلى بلدة غودو (Gudu) الواقعة شمال غرب دجل بـــ (48) كم في 21 فيفري 1804 الذي يسميه مسلمو شمال نيجيريا يوم الهجرة، ويعدونه من أعيادهم الوطنية والإسلامية،[80] فكانت تشبه هجرة الرسول (ص) إلى المدينة أين مثلت بداية لعهد إسلامي جديد، وفي غودو أُعلن الشيخ عثمان بالتزكية أميرا للمؤمنين،[81] وبلغة الفولاني (ساركين مسلماني) من طرف مريديه الذين تجمعوا حوله في المهجر،[82] فأصدر حاكم غوبير أمرا بالقبض على الشيخ عثمان، وطلب من حكام الإمارات قتل المسلمين ومصادرة أموالهم، وغزو القرى الإسلامية ونهب ما فيها، فكان هذا العمل بداية الجهاد وإعلان قيام الدولة الإسلامية،[83] وتحولت الدعوة الإصلاحية من المجال النظري إلى المجال العملي، ومن حالة السلم إلى حالة العنف و القوة.[84]

-المواجهة:

في 04 جوان 1804 أغار حاكم غوبير على قرى الموحدين، وتقدمت قوات الجهاد بقيادة عبد الله بن فودي الذي أخلى غودو اتجه لبحيرة تابكين كوتو (Tabkin kwatto) شمال بلدة دجل، حيث أطبق المسلمون على خصومهم وهزموهم،[85] وفي 1805 عادت قوات المشركين وهزمت الشيخ عثمان في معركة تسونسو لكنهم صمدوا،[86] حيث في نفس السنة غزا الشيخ عثمان كِبي (Kebbi) وأرسل ابنه محمد بللو(Bello)[87] إلى زعماء كاتسنا، دورا، زمفارة للتحالف معه فأقسموا له يمين الولاء، لكنهم سرعان ما نقضوا عهدهم خوفا على مراكزهم وقتلوا أنصار الشيخ عثمان فاشتعلت الحرب في المنطقة.[88]

وأدرك الشيخ عثمان خطورة بقاء دولة بورنو قوية لذلك عمد لمحاربتهم و هزمهم في 1808م،[89] لكنهم استعانوا بالزعيم الديني محمد الأمين الكانمي[90] الذي نجح في طرد الفولاني الذين ظلوا يغيرون على بورنو حتى احتلوا الجزء الغربي منها ولكنهم لم ينجحوا في السيطرة عليها،[91] وفي نفس السنة استولى الشيخ عثمان على الكلوة (Al kalawa) عاصمة غوبير فأرسل جيشا بقيادة ابنه محمد بللو نجح في قتل حاكمها (Yunfa) واحتلال المدينة فقويت شوكة الفولاني وذاع صيتهم،[92] وانتهت مقاومة الوثنيين وتوالى الالتفاف حول الشيخ عثمان وتوسعت امبراطورية الفولاني.[93] وفي سنة 1809 سقطت كانو وتحرك الشيخ عثمان نحو سوكوتو، وبذلك نجح في الاستيلاء على المراكز الهامة في أراضي الهوسا، ثم اتخذ من سوكوتو عاصمة لدولته،[94] وفي 1810م بلغ الجهاد ذروته وأُخضعت معظم بلاد الهوسا.[95]

4- بناء الدولة:

استمرت فترة الجهاد التي نظمها وأشرف عليها الشيخ عثمان بنفسه من سنة 1803 إلى 1810م[96] تمكن فيها من بسط نفوذه على بلاد الهوسا، وتأسيس دولة إسلامية قوية في شمال نيجيريا عاصمتها سوكوتو ترك قيادتها لابنه محمد بللو وأخيه عبد الله، مكتفيا بالزعامة الروحية ومركّزا على الدعوة للإسلام وعاكفا على التصوف وتأليف الكتب.[97] فمنذ 1809م غادر الشيخ عثمان الحياة السياسية وتفرغ للعبادة، وكلف ابنه محمد بللو بإدارة الجزء الشرقي لدول الهوسا: كاتانا، دورا، كانو، رانو، زمفارة ووضع العاصمة سوكوتو في غوبير القديمة، وعيّن أخاه عبد الله بلقب الأمير على الجزء الغربي للبلاد غاندو(Gando)،[98] واشتمل الجزء الغربي على نوب (Nupe)، دندي (Dendi)، بورجو (Borgou)، إيلورين (Ilorin)، والمركز الرئيسي هو غاندو في إقليم كبي (Kebbi).[99]

وامتدت فترة توطيد دعائم الدولة الإسلامية الجديدة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية من سنة 1810 إلى 1817م،[100] تاريخ وفاة الشيخ عثمان، حيث وضع خلالها قاعدة الفكر السياسي موضع التنفيذ فدان بها

أبناؤه من بعده، وهي أن الملك لمستحقه لا لوارثه، وأن الأمر شورى، و لم يكن للحكومة تدخل في القضاء، وكان القضاة ينفذون الشريعة الإسلامية.[101] فقد اتخذت الخلافة الإسلامية في سوكوتو من الدولة العباسية نموذجا في الحكم، وأقامت نظاما فريدا من نوعه في غرب القارة استقى من كل النظم الإسلامية.[102]

أقام نظام الحكومة الإسلامية حيث قسم دولته إلى ثلاثين إمارة طبقت الشريعة الإسلامية والقضاء الإسلامي على مذهب الإمام مالك، وأنشأ مناصب عربية كالوزير والقاضي والوالي والمحتسب وشيخ الإسلام والحاجب، ولُقِّب بأمير المؤمنين وأبناؤه بالخلفاء،[103] ومن الناحية الاقتصادية كان بيت المال، وله موارده ومصارفه، فالزكاة على التجارة والمحاصيل الزراعية تدفع لبيت المال، وكانت هناك جزية على غير المسلمين نظير إعفائهم من الخدمة العسكرية واستمتاعهم بالمرافق.[104]

ورغم أن كل الإمارات كانت تدفع الجزية لسلطان سوكوتو، وأن الأمراء يسمون من طرفه إلا أنهم كانوا يتمتعون باستقلال على نطاق واسع، وهذا ما جعل الامبراطورية تعيش هدوءا في المنطقة الوسطى رغم رفض بعض الإمارات حكم الفولاني مثل غوبير، كِبي ونوب، وقيامها بهجومات متقطعة على إمارة غاندو.[105] وفي حدود 1850م كانت امبراطورية سوكوتو في أوج قوتها، تمتد على مسافة (1500 كم) من الغرب إلى الشرق بين ساي (Say) في النيجر وأداماوا (Adamaoua) بالكامرون، وعلى مسافة (600 كم) من الشمال إلى الجنوب بين حدود النيجر ونيجيريا.[106]

- عوامل نجاح الشيخ عثمان في بسط نفوذه الديني والسياسي:

لقد لعبت شخصية الشيخ عثمان دورا بارزا في نجاح حركته الإصلاحية من خلال تكوينه العلمي وقدرته على تأطير المجتمع بالاعتماد على التربية الدينية وإعداد الجماهير من أتباعه وأبناء عشيرته للتغيير، فإلى جانب الدعوة بالإصلاح ركّز على العنصر القومي ببث أفكاره في أوساط شعب الفولاني الذي تبناها وجسّدها في أرض الواقع من خلال عمليات الجهاد، ومن بين العوامل التي ساعدته مايلي:[107]

– الاعتماد على الفولاني في تكوين امبراطوريته، وتعيين الكثير منهم كحكام على الأقاليم، وقُوّادٍ لجيشه.

–اتسمت حكومته بالأمن أكثر من غيرها من الحكومات السابقة فانضم إليها الناس بكثرة، فكانت حركة شعبية.

– إعلانه الجهاد ونجاحه في إثارة الحماس الديني لقواده من أجل نشر الإسلام وتصحيح العقيدة في شمال نيجيريا، فترتب على ذلك أن قلت الحروب بين المدن والأقاليم المختلفة مما أدى بدوره لانتعاش التجارة.

– كانت حركته أشبه بثورة اجتماعية وتغييرا جماعيا، وثورة في الإدارة والقضاء والقانون وتعليم النساء.

– مقدرته العلمية والإدارية حيث اجتمعت فيه صفات لم تجتمع في الكثير ممن سبقه أو تلاه في بلاد السودان، فكان أول داعية في إفريقيا قام بتغيير المنكر بالقلب واللسان ثم باليد، وشارك المجاهدين في حمل السلاح.[108]

– ضعف إمارة غوبير بسبب الصراع مع باقي الإمارات في القرن الثامن عشر، والطابع القبلي في بلاد الهوسا وانتشار الفساد مما جعل دعوة الشيخ عثمان تلقى تجاوبا وإقبالا خاصة مع إحياء الثقافة العربية.[109]

– مظاهر التجديد و الإصلاح في حركة الشيخ عثمان وآثارها في غرب إفريقيا:

كانت حركة الشيخ عثمان الإصلاحية مظهرا من مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي التي عرفها العالم الإسلامي، فمنطقة غرب إفريقيا لم تكن بمعزل عن حركة التغيير التي بدأت في مختلف المناطق الإسلامية، فهي جزء من حركة الأفكار والتجديد التي عملت على الانتقال من حالة الفوضى والفساد السياسي والديني إلى حالة التنظيم وبناء دولة إسلامية متطورة بقيت لمدة قرن من الزمن.

تميزت حركة الشيخ عثمان بإحداث تغيير جوهري في غرب إفريقيا جعلها نموذجا يحاكي الخلافة الإسلامية من خلال إصلاحاتها، ومن أهم مظاهر التجديد والإصلاح مايلي:[110]

– محاربة الوثنية والبدع والخرافات والانحرافات والمعتقدات الفاسدة كاعتقاد النفع والضر في الأشجار، والأحجار والتنجيم حيث شن على أصحابها حملات شعواء أدت لتكفيرهم والإفتاء بقتالهم، وهذا يعكس صعوبة البيئة التي بدأ فيها حركته الإصلاحية.

– أقام الشيخ عثمان في كل قرية مسجدا تحت إشراف معلم، وهذا يبين إدراكه لأهمية التعليم في البناء الحضاري خاصة وأنه من أنصار تعليم المرأة.

– اعتبر اللغة العربية لغة رسمية وألزم من يتزعم حركة انتشار الإسلام بإجادة اللغة العربية، وهذا ما ساعد على انتشارها حيث كثرت المدارس والمعاهد التي تدرس باللغة العربية، لدرجة أن لغة الهوسا أصبحت تكتب بحروف عربية حتى غيرها الاستعمار إلى اللاتينية.

– ظهرت حركة ثقافية فكرية في مجتمعات غرب إفريقيا شملت مختلف فروع العلوم، حتى قيل أن النصف الأول من القرن التاسع عشر يمثل العصر الذهبي بسبب الإنتاج الغزير للشيخ عثمان وأخيه عبد الله وابنه محمد بللو، واقتصرت الجهود العلمية فيما بعد على الشرح والتحليل والتعليق و الترجمة.

– وضعه لأسس قوية للدولة الإسلامية من خلال مختلف التنظيمات لدرجة أنها أدهشت البريطانيين لما احتلوا المنطقة سنة 1903، فاضطروا للإبقاء عليها، و لم يحاولوا التدخل في شؤون المسلمين، فعاشت حضارتهم وازدهرت.

– مساهمته في توضيح وتقرير الشؤون السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية لدولته بتقديم النصح لكل من أخيه عبد الله وابنه محمد بللو، لينجحوا في تسيير المناطق التي يحكمونها، ويحلوا مشاكل السكان، كما ناقش الكثير من القضايا الدينية والأدبية والسياسية أثبت من خلالها سعة اطلاع، وأنه رجل دين ودولة.[111]

– آثار حركة الشيخ عثمان في شمال نيجيريا و منطقة غرب إفريقيا:

كان قيام حركة الشيخ عثمان في شمال نيجيريا تحدياً للأوضاع الدينية والسياسية السائدة، ولما نجحت ساهمت في تغيير ملامح الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية ليس في بلاد الهوسا فحسب، وإنما في كل غرب إفريقيا التي تأثرت بالنموذج الفودوي (نسبة إلى عثمان بين فودي)، وتكمن آثارها في:[112]

– غيرت حركة الشيخ عثمان الحياة السائدة في بلاد الهوسا، وأبرزت مجتمعا جديدا تحكمه طبقة من رجال الدين والعلماء ليست من أصول ملكية بل رفعهم الإسلام إلى مصاف الأمراء.

– أخرجت البلاد من سيطرة الحكام المحليين إلى حكام بنمط جديد أساسه العلم والشريعة.

– انتهت الحركة بتأسيس دولة إسلامية كبرى تضم أقاليم شاسعة في غرب إفريقيا في بلاد الهوسا، بورنو وكانم، جنوب كبي وإيلورين أي المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد حتى منحنى النيجر غربا، ومن الغابات الاستوائية جنوبا حتى الصحراء الكبرى شمالا.

– صار الإسلام أساس النظام السياسي والاجتماعي، وتقلد رجال الدين و العلماء مناصب التدريس والقضاء، وانتشرت الثقافة الإسلامية وحضارتها إلى القبائل الوثنية التي بدأت تتخلص من العادات السيئة، وتحرّر الزنج من الرق.

– فُتّت النظام القبلي تدريجيا وانخرط الناس في الدولة الإسلامية، أي تطور فكرة المواطنة.

– بدأ الناس يحتفلون بالمناسبات الإسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوي، وحاول القضاء على العادات السيئة كالندب على الأموات، وأحل محلها قراءة القرآن والصلاة على المتوفى، وحرّم إشراك النساء في تشييع الجنازة، وأصبح المواليد يُسمون بأسماء الصحابة والأنبياء.

– أوجد الشيخ عثمان وأبناؤه نظاما ناجحا للحكم في شمال نيجيريا قبله السكان على مدار قرن من الزمان،[113] وبقيت أفكاره تجري في ذريته، وبقيت التنظيمات في شمال نيجيريا وفق تقيد صارم بالشريعة الإسلامية مماثلة للتنظيمات التي وجدت في القرن التاسع عشر.[114]

– أعادت دعوته الإصلاحية أجواء الأمن والاستقرار و لمِّ شمل المنطقة، حيث تجمعت تحت رايتها عدة ممالك من بلاد الهوسا، وصُبغت المنطقة بالطابع الإسلامي الذي لا يزال يميزها حتى اليوم مثل نيجيريا التي أصبحت أكبر دولة إسلامية في إفريقيا بفضل تلك الحركة الإصلاحية.[115]

– ملأ القطر المغاربي معارفاً وتلاميذاً،[116] وتخرج على يده أكثر من (100) عالم وفقه،[117] وأصبحت مؤلفاته مصدر الفكر والإلهام الثقافي،[118] وكان السبب في تأسيس العشرات والمئات من المساجد والمدارس والمعاهد والكتاتيب القرآنية، التي لعبت دورا رائدا في نهضة المجتمعات السودانية، وتطور حياتها وفكرها.[119]

– كانت حركته أشبه بثورة اجتماعية وتغيير جماعي، وثورة في الإدارة والقضاء والقانون وتعليم النساء.[120]

– أثرت حركة الشيخ عثمان تأثيرا كبيرا على الغرب الإفريقي وعلى الزعماء الأفارقة فسعوا لتقليده، وتطلعوا لبناء دول وممالك على غرار مملكة الفولاني في منتصف القرن التاسع عشر، فنجح الحاج عمر الفوتي[121] في تكوين امبراطورية التكرور، ووجّه جهوده لنشر الإسلام بين البمبارا الوثنيين،[122] كما تأثر بها أحمدو لوبو[123] في ماسينا واقتبس منها النظام الإداري والعسكري والديني، وحارب الوثنيين ومنع شرب الخمر،[124] كما استوحى منها ساموري توري[125] بطريقة مباشرة.[126]

خاتمة

إن حركة الشيخ عثمان بين فوديو الإصلاحية تعكس الواقع الديني والسياسي الذي كان سائدا في غرب إفريقيا، وتبرز قدرة العلماء الأفارقة على مواجهة التحديات من بدع وخرافات وأفكار وثنية، وهي أصعب من التحديات التي واجهها العلماء المصلحون في باقي مناطق العالم الإسلامي، وهذا يدل على أن الإسلام في القارة السوداء كان بعيدا عن الانحطاط، كما أحيَ فكرة الجهاد لإقامة الدين الإسلامي الصحيح، مؤسسا دولة إسلامية في مبادئها وتنظيماتها تحاكي نظام الخلافة لا تزال قائمة إلى اليوم، مما جعله رجل دين ودولة وفكر.

بقيت أفكاره الإصلاحية والجهادية تسري في عقبه، ونجحت في إثارة الشعور الديني لدى الأفارقة في مواجهة الغزو الأوربي، وألهمت علماء غرب إفريقيا بتبني الفكر الإصلاحي وإقامة دول تحكم بالشريعة الإسلامية.

الهوامش:

1- حاليا هي الجزء الشمالي لشمال نيجيريا، ينتمون لجنسيات مختلفة ولغتهم مشتركة هي الهوسا، تشكلت الهوسا من الهجرات الآتية من شمال إفريقيا إلى بلاد السودان الغربي، وهم زراع مهرة وتجار مغامرون ومحاربون أشداء، يقطنون الأقاليم الإسلامية في سوكوتو، كاتسينا، كانو، زازوا، وتسود أنظمتهم الاجتماعية و الاقتصادية كل نيجيريا.أنظر: عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر،القاهرة،1998،ص133. وفيج:تاريخ غرب إفريقيا،تر،السيد يوسف نصر،دار المعارف،القاهرة،1982،ط1،ص 31.

2- إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1914)،دار المريخ للنشر،1988،الرياض،ص 42.

3- فيج: تاريخ غرب إفريقيا،تر:السيد يوسف نصر، ط1،دار المعارف،القاهرة،1982،ص 74.

4- نسبة إلى المدينة التي كانت عاصمة الدولة، أقدم دولة عرفت في غرب إفريقيا، يرجع ظهورها إلى القرن الأول الميلادي، أول امبراطورية ذات نفوذ إسلامي في العصر الوسيطـــ، تقع جنوب شرق موريتانيا، غنية بالذهب، في 1056م دخلها الإسلام بواسطة المرابطين وبعد ذلك تفككت وضمها ملك الصوصو إلى دولته سنة 1203م.أنظر:محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة،دار الكتب العلمية، 2007، بيروت،ص ص58-72.

5- ثاني أهم حواضر السودان الغربي بعد تمبوكتو، تقع إلى الجنوب الغربي من تمبوكتو على أحد روافد نهر النيجر، تمتد من مدينة ساي حتى بحيرة ديبو، بناها برابرة صنهاجة لتكون ملتقى لتجار الملح والذهب.أنظر:محمد الصالح حوتية:توّات والأزواد، دار الكتاب العربي،2007، الجزائر، ج1،ص 41.

6- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر،1998،القاهرة،ص 5-6.

7- نفسه:ص 12.

8- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 42.

9- فيج: المرجع السابق،ص 76.

10- ظهرت مملكة سنغاي في القرن الحادي عشر ميلادي واتخذت من مدينة "غاو" عاصمة لها سنة 1010م، وبرزت كقوة كبرى خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلاديين، سقطت على يد المغاربة بعد أن وجه المنصور حملة إليها سنة 1591م.

11- تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر، و إلى الجنوب الشرقي لتمبكتو على بعد (440 كم)، أهلها مسلمون وهي أكثر بلاد السودان ذهبا، عاصمة دولة سنغاي.أنظر: محمد الصالح حوتية:المرجع السابق،ص 42.

12- تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على منحى نهر النيجر وتبعد عنه باثني عشر ميلا، يعود تأسيسها إلى قبائل الطوارق حوالي 948هـــ الموافق لـــــ1087م. أنظر: محمد الصالح حوتية:نفسه،ص 40-41.

13 - Robert CORNEVIN:Histoire de l'Afrique,l'Afrique précoloniale (1500-1900), Payot, 1966, Paris, t2,p 235-236.

14- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 131.

15- فيج: المرجع السابق،ص 76.

16- الفولاني شعب قليل السواد عن زنوج غرب إفريقيا، يقطن المنطقة الممتدة من أعالي النيجر حتى نهر السنغال، بعضهم متنقل يعتمد الرعي كحرفة أساسية و البعض مستقر، لهم نفوذ وجاه خاصة في نيجيريا الشمالية،يرى البعض أنهم هاجروا من الشمال وانتشروا في السودان الغربي وعاشوا في دولة مالي وانتقلت جماعة منهم إلى بلاد الهوسا في القرن الثامن عشر، في 1810م شمل نفوذهم إمارات الهوسا وأسسوا دولة في غرب إفريقيا بقيت لمدة قرن إلى أن أسقطها الاستعمار البريطاني، وهي الدولة التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي.أنظر: فيج: المرجع السابق،ص 30. وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق،ص 1-19.

17 - Robert CORNEVIN:opcit,p 238.

18- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة،دار الكتب العلمية، 2007، بيروت، ص 150.

19- نفسه:ص 188.

20- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 135.

21- قرية تقع في الشمال الغربي لإمارة غوبير، وهي أيضا اسم ملك غوبير الثاني والسبعين.أنظر عثمان بن فودي:فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن و الظواهر،تحقيق و تعليق سيني موموني وسالو الحسن،Ens éditions,2012, LYON،ص 7.

22- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 188.

23- يحي بوعزيز:تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين،دار البصائر للنشر و التوزيع، 2008، الجزائر، ص 118.

24- عثمان بن فودي:فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن و الظواهر،تحقيق وتعليق سيني مومويي وسالو الحسن،Ens éditions, 2012 LYON, ،ص 7.

25- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 188.

26- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 118.

27- مدينة مسورة للسود بناها الملوك المحدثون في ليبيا، أهمى من مدن البيض باستثناء "ولاتة"، دورها متقنة البناء على نمط دور بلاد البربر، يعمل أهلها صناعا أو جنودا لملك المدينة وفي الجنوب رعاةً للماعز والأبقار.أنظر: الحسن بن محمد الوزان:وصف إفريقيا،تر:محمد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983،لبنان، ج 2،ط2،ص 171-172.

28- عبد القادر زبادية:دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين،ديوان المطبوعات الجامعية،بدون تاريخ،الجزائر، ص78.

29-عثمان بن فودي:المرجع السابق،ص 7.

30- تنسب للصوفي عبد القادر الجيلاني (471هـ/1078-561هـ/1166م)، والجيلاني نسبة إلى جيلان التي ولد بها وهي تقع إلى الجنوب من بحر قزوين،تعلم القفه و الحديث وبدأ في الوعظ والإرشاد في سن الخامس عشرة حتى اتسعت سمعته وظهرت طريقته، من أهم مؤلفاته(الغُنية لطالبي الحق)، توفي ببغداد وانتشرت القادرية في كل البلاد الإسلامية خاصة المغرب العربي و لها دور كبير في انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.أنظر: عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 229-231.

31- فقيه، مفسر، ومتكلم ولد في مغيلة لقبيلة بربرية بأحواز تلمسان، ناوأ اليهود في توات وكانت له معهم مشاحنات أدت لقتالهم وهدم كنائسهم،زار بلاد السودان يشرح أحكام الشرع ويحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وراسل علماءها، له عدة مؤلفات منها: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، والبدر المنير في علوم التفسير و غيرها، يقول عنه يحي بوعزيز أنه تنبأ بخطر اليهود و مكرهم على المجتمعات الإسلامية كالجزائر وتونس والمغرب فيما بعد من خلال تنفذهم في توات، كما تنبأ بما يحدث في فلسطين والمشرق العربي، اتصل بالأسقيا محمد الطوري أمير مملكة سنغاي 1502م الذي قدم له سبعة أسئلة موسعة وطلب منه أجوبتها لإصلاح شؤون إمارته، توفي بتوات في 909 هـ/1503م.أنظر:عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ،1980،بيروت،لبنان،ط 2،،ص 308. و يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص ص 71-72-86.

32- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص31-32.

33- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 197.

34- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 45.

35- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 144.

36- نفسه:ص 144.

37- عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 82.

38- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص174.

39- من أقاليم بلاد السودان خاضع لإمارة غوبير،يقع شرق إمارة كانو،تسكنه شعوب بدائية،غني الحب والأرز والقطن، أهله سود،زاره الشيخ عثمان وأقام به خمس سنوات يدعو الناس إلى الإسلام.أنظر:الحسن بن محمد الوزان:المرجع السابق،ج2،ص174.ويحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 119.

40- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص117.

41- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 133.

42- نفسه: ص 13.

43- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 36.

44- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 131.

45- نفسه: ص 134.

46- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 37.

47- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 13.

48- نفسه:ص 141.

49- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 42.

50- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 135.

51- محمد توري أحد القواد العسكريين في جيش علي الأكبر ملك سنغاي، تولى الحكم سنة 1493 بعد وفاة علي الأكبر وضعف وريثه وتسمى بالأسقيا، بلغت مملكة سنغاي في عهده أعلى مراتب مجدها بتنظيم عالٍ متخذا من الشريعة الإسلامية نظاما للحكم و منهاجا لحياة القبائل والشعوب المنضوية تحت لواء المملكة، توفي سنة 1537 و كان موته علامة لبداية نهاية مملكة سنغاي، في 1502 اتصله به محمد بن عبد الكريم المغيلي وقدم له سبعة أسئلة موسعة وطلب من أن يجيبه عليها بالتفصيل لكي يطبقها.أنظر:جوان جوزيف:الإسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا السوداء،تر:مختار السويفي،دار الكتاب المصري،1984،القاهرة،ط1، ص 75. ويحي بوعزيز:المرجع السابق:ص 86.

52 - Robert CORNEVIN:opcit,p 247.

53- فيج: المرجع السابق،ص 289.

54- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 197-198.

55-نفسه:ص 190.

56- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 119.

57-أخ الشيخ عثمان بن فودي،ولد في منطقة غوبير 1766م،حفظ القرآن الكريم،لازم أخاه مدة أربعين سنة،كان وزيره وقاد معظم الحملات العسكرية، عين كمشرف على القسم الغربي لمملكة سوكوتو،توفي حوالي 1830م، له عدة مؤلفات منها: ألفية الأصول-بحر المحيط في النحو-تزيين الورقات-تفسير ضياء التأويل-سبيل النجاة-ضياء السياسة-مفتاح التفسير.أنظر:هارون ابراهيم كلو:الشيخ عبد الله بن فودي ومساهمته في علم مصطلح الحديث،مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، ع2، 2011،ص 2. وعبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص ص 83-85.

58- نفسه:ص 119.

59- عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 78-79.

60- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 190.

61- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 120.

62- نفسه:ص 169.

63- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 42.

64- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 197.

65- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 135.

66- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 171.

67- نفسه:ص 121.

68- عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 79.

69- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 135.ويحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 121.

70- نفسه:ص 136.

71- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 41.

72- نفسه:ص 42-43.

73- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 136.

74- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 121-122.

75- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 138-139.

76- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 122. وعبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 80.

77- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 192.

78 - Robert CORNEVIN:opcit,p 246.

79- عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 80-81.

80- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 191.

81 - Robert CORNEVIN:opcit,p 247.

82- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 191.

83- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 138.

84- يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 172.

85- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 139.

86-نفسه:ص 139.

87-ابن الشيخ عثمان وخليفته من بعده، رافق والده في حركته الإصلاحية والجهادية،كلف بإدارة الجزء الشرقي لدولة سوكوتو، مارس التأليف على غرار أبيه وعمه فكتب:إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور-مجموعة الرسائل.استمر في الحكم حتى وفاته سنة 1838.أنظر: يحي بوعزيز:المرجع السابق ،ص 176-177.وعبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 86.

88- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 43.

89- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 193.

90- ينحدر من عائلة ملكية حكمت منطقة كانم في بورنو منذ عام 1000م، نشأ في كانم قرب بحيرة تشاد، درس على علماء بلده والأزهر بمصر والقدس ثم مكة والمدينة، كما زار طرابلس والقيروان وتلمسان وفاس، ولما عاد لبلاده عمل على تثقيف الناس فذاع صيته، اصطدم بالشيخ عثمان بن فودي الذي توسع في بورنو وأنكر جهاده، و في 1824 تحسنت العلاقات بين الكانمي ومحمد بللو الذي اعترف بسلطة الكانمي على بورنو مقابل اعتراف الأخير بشرعية جهاد آل فودي، وفي 1835 توفي محمد الأمين الكانمي.أنظر: يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 148-149. وعبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص ص102-104.

91- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 44.

92- نفسه:ص 43.

93- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 139.

94- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 43.

95- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 193.

96- عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص 81.

97- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 194.

98- Robert CORNEVIN:opcit,p 248.

99- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 44.

100- يحي بوعزيز:المرجع السابق ،ص 122.

101- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 45.

102- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 146.

103- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 195.

104- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 45.

105- Robert CORNEVIN:opcit,p 249.

106 -ibidem,p 248.

107- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 44-45.

108- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 196-197.

109- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 140.

110- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 195-196.

111- يحي بوعزيز:المرجع السابق ،ص 173.

112- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 142-143.

113- نفسه: ص 88.

114 - Robert CORNEVIN:opcit,p 249.

115- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 196.

116- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق، ص 135.

117- محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية:المرجع السابق،ص 197.

118- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل:المرجع السابق،ص 146.

119- يحي بوعزيز:المرجع السابق ،ص 174.

120- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 45.

121- الحاج عمر الفوتي التيجاني (1791-1864) ينسب إلى منطقة فوتا في شمال السنغال حاليا، حفظ القرآن وتعلم مبادئ الدين، سنة 1822 تلقى دروس الصوفية التيجانية، حج سنة 1824 ولما عاد بدأ في نشر الدعوة التيجانية، سافر إلى سوكوتو وبقي فيها لسنوات ثم لفوتا، اشترى قرية في دينقيراي واتخذها قلعة عسكرية وبدأ حركته الجهادية سنة 1854، قضى على دولة سيقو الوثنية 1854 واحتل ماسينا (بمالي حاليا) سنة 1862، وفشل في إخضاع تمبكتو.أنظر: عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص ص 93-96.

122- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص 45.

123- أحمد لوبو الماسيني (1775-1844) ولد بمدينة ماسينا شمال جنى، حفظ القرآن وتفقه في الدين، دعا لنبذ الخرافات والعادات الوثنية ولما عارضه حكام ماسينا هاجر إلى منطقة تدعى (روندي سيرو) بالقرب من جنى، وأعلن الجهاد ضد أمراء البامبارا المنحرفين عن الإسلام، وسرعان ما سيطر على جنى وماسينا، في 1815 أسس مدينة حمد الله على ضفة نهر النيجر الشرقية كعاصمة له، تأثر بحركة عثمان بن فودي وأقام علاقات وطيدة مع ابنه محمد بللو.أنظر: عبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص ص 89-92.

124- نفسه:ص 46.

125- ولد سنة 1835 في وادي الباولي بمنطقة بيساندوجو، درس العلوم الإسلامية وتنقل بين بلدان الغرب الإفريقي، دعا لإقامة دولة إسلامية في غينيا، سيراليون، ساحل العاج، ليبيريا و فولتا العليا، تمركز في بيسادوجو كعاصمة له، كان يسير دولته باللغة العربية، طبق الإسلام وبنى المساجد و قسم البلاد إلى ولايات، حارب الفرنسيين لمدة (16) سنة إلى أن أُسر سنة 1898 حتى وفاته سنة 1900م.أنظر: يحي بوعزيز:المرجع السابق ،ص 141.
وعبد القادر زبادية:المرجع السابق،ص ص 65-66.

126 - Robert CORNEVIN:opcit,p 250.